التّـصوف اليهودي "القبالاه" المفهـــوم والتطـــــور

د. مبروكة معطى الله ـ قسم الفلسفة ـ كلية الآداب – جامعة طرابلس

المُقدّمـــــــة :

الحمد لله رب العالمين، والصـــلاة والسَّـــلام على أشـــرف المرسلين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من ســـار على نهجهم إلى يوم الدّين . وبعد:

يحـــاول اليهود تصدير فكرة أنهم أمـــة عظيمة، لها تاريخ تليد، وديانة سماوية تحفل بالروحانيات، وأنهم جديرون وفـــق ذلك بقيادة العالم وقيام دولتهم المزعومة في فلسطين بعد بناء هيكلهم انتظارا لقدوم " الماشـــيح "[1] المنتظر، الذي سيحكم العالم ألف عام قبل قيام الساعة.

إلا أنّ التاريخ الحقيقي يلفه الغمـــوض إثـــر ما تعرضوا له عبر تاريخهم المليء بالعذابات والتهجير والسبي في ظـــل كل المجتمعات التي عاشوا فيها ، فتاريخهم غير دقيق وتنقصه الحقيقة في كثير من أحداثه ؛ وذلك لم يمنعهم مـــن اكتساب كثير من الخبرات الحياتية من تلك الشعوب كاللغة والعادات والتقاليد، وحتى طرائـــق العبادات، وخاصة بين المسلمين ، وبالتحديد في مجال التصوف ، فأدخلوا كثيراً من العبادات الإسلامية الصرفة على شعائرهم ، وهـــذا ما سوف نتطرق إليه مفصلا ضمن هذا البحث ، الذي يحتـــوي على كثير من التســـاؤلات حول التصوف اليهودي أو ما يعرف " بالقبـــــالاه "؛ أي : تأصيل هذه الفكرة والبحث في جذورها وامتداداتها التاريخية ، وهل هي حقا نزعـــة روحانية صرفة؟ أم هي مزيـــج غريب من النّصوص الدينية وشـــروحها إضافة إلى السحر؟ وهل تأسست الفلسفات الغربية المعاصرة على "القبالاه"؟ وهل الصهيونية الثمرة النهائية لهذا التوجـــه؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه ، ولعل من أبـــرز أهداف هذا البحث بيان حقيقة " القبـــالاه"، خاصة وأنها متغلغلة في كل مناحـــي الحياة كشعارات ورمـــوز لا تكاد تخلو منها وسيلة من وسائل الحياة الآن إلاّ وتجد رمـــوزها وإشاراتها حاضرة وبقصد وفق تعمـــيم هذه الضلالات والجهالات اليهودية، والهدف الآخـــر توعية شبابنا المسلم من أخطار هذه الضلالات.

القبالة المفهوم والتطـــور.

القبالاه لـــغة : أما من الناحية اللغوية فالقبالاه أو القبالة أو الكابالا مأخوذة من الكلمة العـــــبرية من الفـــم إلى الأذن كناية عن كلمة الله إلى موسى ، وهـــــي تعني : القانون الشفهي ؛ أي: تفيـــــد معنى القبول والتلقي، فـ"قبل"؛ أي : "استلم"، وتفيد معنى التواتر أو التلقي عن السلف [2]، وتعني - أيضا- لغة التقاليد اليهودية القديمة المرتبطة بالتـــــوراة والمشناة والتلمود وغيرها من مأثورات أقـــــوال الأنبياء وأصحابهم[3].

واصطلاحا : نزعة تفســـــيرية وحركة روحية ذات طابع حلولي ، تقـــوم على تأويل باطني رمـــــزي لنص الكتاب المقدس ، وتركّـــز على ما للأحرف من قيمة عددية "[4].

كما تطـــلق على مجموع التيارات الصوفية الباطنية التي اشتهر بها اليهود السفراديـــم[5]، ويقصد بهذه العقيدة عقيدة " عبادة الشيطان"، وهي تقوم على أساس السحر في العبادات، وهي تعاليم شفهية للغاية ، وتنتقل من كبار رجال الدّين، كما يحظر على أي يهودي أن يدرس "القبالاه" إلا بعد بلوغه الثلاثين ، وتحت إشراف كبار الحاخامات.

وقد قام بجمعها وحفظها الحاخام " أكيفا بن يوسف"، ووضعها في كتاب، وكان يشغل منصب كبار الكهنة في القرن الثاني قبل الميلاد ، إبان حكم الرومان لبلاد الشام وفلسطين، وقام هو ومساعده "شمعون بن يوخاي" بتقسيم الكتاب إلى سفرين :

- **سفر يتـــــزرا**، وهو كتاب التكوين أو الخلق ، وكُتب في فلسطين وفي بابل أثناء الشتات البابلي في الفترة ما بين القرن الثالث والسادس قبل الميلاد.

- **سفر الزوهـــــار**[6]، وهـــو كتاب النـــور أو البهاء، وكُـــتب في إسبانيا في القـــرن الثالث عشر الميلادي على يد موسى بن ليـــون ، وصار هذا الكتاب الأساس الذي انتشر في بلدان أوروبا في القـــرون الوسطى ، ويمتلئ الـــزوهار بالرموز والأســـرار التي لا يعرفها إلاّ الخاصة من الكهنة، وتوجد مفاتيحه في قاموس خاص.

ثم وضـــع كتاب ثالث للقبـــــالاه بعد ذلك بمئات السنين في أوروبا، وهـــو **ســـفر " الباهـــــير"** أو النور، وهو اسم كتاب لمؤلف مجهول يُعَدُّ أقـدم النصوص القبَّالية ، وقد كان هـــذا الكتاب معروفاً في جنوب فرنســـا في نهاية القرن الثاني عشر ، ويحتوي الكتاب على أول محاولة لشـــرح النظرية القبَّالية الحلولية في

الفيض الإلهي ، وفكرة تناســـــخ الأرواح، كما يحاول الكتاب وضع أسس التفسير الصوفي لحروف الأبجدية العبرية ، كما تـــــرد في الرموز الصوفية القبَّالية في شجرة الحياة مثلا ، وقد وردت فيه كذلك فكرة التجليات النورانيـــة العشرة (سفيروت) التي تجلت من الإله الخفي ، ويعتمد كتاب الباهـــير على كتاب سبقه هو سفر يتزيرا (كتاب الخلق) وبينما يميل كتاب الخلق إلى تَبنِّي المنطق الرياضي في حساب التجليات العشـــرة ودور كل شيء فيها وطبائـــع الحروف (المائية والنورانية والهوائية) نجد أن كتاب الباهير يميل إلى القصص الأسطـــوري، وقد كُتب الباهـــير بخليط من العبرية والآرامية، وبأسلوب غامض، وبناء الكتاب غير متماسك ، ويبلغ عدد كلمات الباهير اثنى عشر ألف كلمة. وظهرت أولى طبعاته في أمستردام عام 1651م[7].

وقد ألفت كتب "القبالاه" باللغة العبرية وترجمت إلى لغات عدة. وقبل التطرق إلى التصوف اليهودي لا بد لنا مـــن الوقوف على المراحل التاريخية للديانة اليهودية، تمهيدا للحديث عن التصوف ، وهي ستة مراحـــل كالتالي:

1- **المرحـــلة الشفهية.** وهي : تمثل الفترات البدائية الأولى، وتخلو من الكتابة والتدوين ، فكل التعاليم كانت عبارة عن نقل وتواتر شفهي من جيل إلى آخـــر.

2- **مرحـــلة الكتابة البابلية** وتمتد من (القرن الأول ق.م إلىٰ القرن السابع)، وهنا يظهر الأثر البابلي ، فدونت التوراة وأسفارها "الأجـــزاء والفصول" جمعت في كتاب واحد سمي "العهد القديم" الذي أطلق على أسفاره الخمسة اسم "التوراة"[8]: كلمة عبرانية تعني الشريعة أو الناموس، ويراد بها في اصطلاح اليهود: خمسة أسفار يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده، وهي خمسة أسفار هي :

1- **سفر التكويـــن :** ويتحدث عن خلق السموات والأرض، وآدم، والأنبياء بعده إلى موت يوسف عليه السلام.

2- **سفر الخـــروج** : ويتحـــدث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوسف - عليه السلام - إلى خروجهم من مصر، وما حدث لهم بعد الخروج مع موسى عليه السلام.

3- **سفر اللاويـــين:** وهو نسبة إلى لاوي بن يعقوب ، الذي من نسله موسى وهارون - عليهما السلام- ، وأولاد هارون هم الذين فيهم الكهانة ، أي: القيام بالأمور الدينية، وهم المكلفون بالمحافظة على الشريعة وتعليمها الناس، ويتضمن هذا السفر أموراً تتعلق بهم وبعض الشعائر الدينية الأخـــرى.

4- **سفر العـــــدد:** وهو معنيٌّ بعدِّ بني إسرائيل ، ويتضمن توجيهات، وحوادث حدثت من بني إسرائيل بعد الخروج.

5- **سفر التثنية**: ويعني : تكرير الشريعة، وإعادة الأوامـــــر والنواهـــــي عليهم مرة أخرى، وينتهي هذا السفر بذكر موت موسى عليه السلام وقبره ، وقد يطلق النصارى اسم التـــــوراة على جميع أسفار العهد القديم، إلى جانب أسفار الأنبياء[9]، كما دونت الشروح والتعليقات وجمعت –أيضا- في كتاب سمـــــي "التلمود"[10].

3- **المرحلة التنظيمية :** وهي تمثل فترة (القرن الأول ق.م إلى القرن السادس) في فلسطين، ويقود هذه المرحلة النخبة القادمة من بابل بزعامة "يزرائيل" و"ناحيم عزرا"، وفي هذه المرحلة تبلورت الديانة وعقائدها؛ حيث سيطر الحاخامات "الحكماء"، ففرضت الطقوس والعزلة وحرم الاختلاط بغير اليهود.

4- **مرحلة الانفتـــــــاح** : وتمتد من (القرن الثالث ق.م إلى القرن الثاني الميلادي)؛ حيث صارت الإسكندرية مركز لتطور اليهودية ، وأكثر انفتاحا على الفلسفة اليونانية، فظهرت الترجمة اليونانية للتوراة، والتي عرفت بالترجمة السبعينية في القرن الثالث قبل الميلاد، ويذكر أن بطليموس أراد أن يضم إلى مكتبة الإسكندرية الكتب المقدسة لليهود، كما يرى آخـــرون أنها موجهة لليهود الذين لا يتكلمون اليهودية، وقام بترجمتها اثنان وسبعون من الأحبار[11]، كما ظهرت عديد الكتابات اليهودية المغايرة لمضامين التوراة، أطلق عليها اسم الأسفار المنحولة أو غير القانونية[12]، وظهرت فيها لأول مرة مفاهيم روحانية ، مثل: خلود الروح، الثواب والعقاب، الجنة والنار، وصارت بذلك ديانة معترف بها، وتصنف من الأديان الكبرى في العالم القديم.

5- **المرحلة العربية الإسلامية:** وتمتد من القرن (السادس إلىٰ القرن السابع عشر الميلادي) عبر بيئات الحضارة الإسلامية من بغداد إلى الأندلس، وبرزت في هذه المرحلة تيارات اجتهادية ، مثل مذهب "القرائيين" كانت أكثر مظاهر تأثر القرّائين بالإسلام هي تأثرهم بالفكر المعتزلي وعلم الكلام الإسلامـــي، وقد تبدّى ذلك في أن القرّائين قد جعلوا النص المقدَّس المكتوب، أي : العهد القديم، المرجع الأول والأخير في الأمور الدينية كافة والمنبع لكل عقيدة أو قانون، مثلما هو الحال عند المعتزلة المسلمين الذين اعتبروا القرآن الكريم أصل كل المفاهيم الدينية ومعظم العقائد والتشريعات، وركـــزوا على تطوير أصول فقهية لاستنباط الأحكام منه، وقلّدهم القراؤون في ذلك تقليدًا كبيرًا .[13] كما تأثروا بالتيار الصوفي الإسلامي في الأندلس،

فظهر موسى بن ميمون (1135م-1204م) [14] أهـــم فيلسوف يهودي في هذه المرحلة ؛ حيث ولد في قرطبة وأقام في المغرب ، وقيل: أنه أسلم وحفظ القران الكريم، واشتغل بالفقه، ثم ارتد وتوجـــه إلى مصر، وأقام في الفسطاط، وكان عالما بالشريعة اليهودية، وحاول إحداث تطوير في الطقوس الدينية، والنزوع إلى التوفيق بين تعاليم الدين اليهودي والفلسفة[15]، وبالرغم من تأثره الكبير بالتوجهات الفكرية الإسلامية المنفتحة والمتسامحة والمنطقية ، تبنى ابن ميمون في الجهة المقابلة مواقف متعصبة للقومية اليهودية ومتطرفة ضد الأديان والطوائف الأخرى، فاحتفظ بقناعاتهم ومعتقداتهم الدينية. وفيها وضع أغلب مؤلفاته، والذى مهد لتبلور أفكار "القبالاه" وظهور النزعة الروحية.

6- **المرحلة الأوربية الصهيونيـــــة**: وتمتد من سقوط الأندلس في (القرن السادس عشر وحتى الآن)، وفيها بدأ تحول اليهودية من ديانة سماوية إلى حركة قومية عنصرية، تحاول إعادة أمجاد بنى إسرائيل وقيام دولتهم وإحكام سيطرتهم على العالم، وخاصة بعد ظهور بروتوكولات بنى صهيون، وتنفيذ كل ما جاء فيها من السيطرة على المال العالمي، والتحكم في الشعوب والتجسس على كل المقدرات وإذلال الشعوب وقهرها، والقضاء على كل الثقافات والأديان وأهمها الإسلام وهو ما نشهده في هذا العصر.

التصـــــوف اليهودي.

يعد التصوف اليهودي أحد ركائز الدّين، كما يعتبره كثير من الكتاب اليهود "الركيزة الثالثة " بعد التوراة واللغة العبرية [16]، فظهور النزعات الأولـــى من التصوف اليهودي كانت معاصرة للتصوف الإسلامـــي، ونهلت من ينابيعه، واستمدت من أساليبه وأدواته التعبيرية، فكل المصادر الدينية اليهودية من نصوص توراتية وشروح أنتجت نزعة روحانية، ثم تحولت على أيديهم إلى نزعة حلولية غنوصية [17]، وابتعدت عن التصوف التوحيدي القائم على تطهير النفس وصفائها.

ويمكن التفرقة بين نوعين من التصوف عند اليهود:

- نوع يدور حول التوحيد ويصدر عن إيمان، ويؤمن اتباعه بالثنائيات الدينية: (السماء – الأرض، الإنسان - الطبيعة، الإله – الإنسان)، وجوهره رياضة روحية غايتها كبح جماح النفس، رغبة في التعبير عن الحب الإلهي، ومنطلقا من عدم وجود أي نوع من أنواع الاتصال بين الإنسان والله، ونفي قيام صلة من صلات التوحد فيه ومعه، فالحلول في نظرهم يتنافى مع التوحيد، فغايتهم من التصوف هو الاقتراب فقط؛

أي: الحب الإلهي عن طريق سلوك طريق الخير، والإعلاء من جانب القيم المطلقة حتى تسمو بها النفس وتتطهر.

- نـــــوع آخـــــر من التصوف يدور في إطار حلولي مفاده: (حلول الإله في الطبيعة، والإنسان، والتاريخ)، ويتوحد معهما ويصبح لا وجود له خارجهما، فيختزل الواقع بأسره إلى مستوى واحد، ويصبح القانون واحدا، ومن يستطيع أن يعرف هذا القانون يتحكم في العالم بأسره، وهذه هي الغاية من هذا الضرب من التصوف، ويأخذ على خلاف الضرب الأول من التصوف صور التأويلات الباطنية ووضع التمائم والتعاويذ، والبحث عن الصيغ التي يمكن من خلالها التأثير على الإرادة الإلهية، ومن تم التحكم في الكون، حتى وإن كان مظهر اتباعه الزهد، فهم لا يكترثون لإصلاح دنيا، أو إصلاح ذات، بل هو فوق الخير والشر، وفوق كل القيم الروحية والمعرفية والأخلاقية، تصوف يهدف إلى تقريب الصلات بين الله ومخلوقاته ضمن إطار واحد أو ما يمكن تسميته (قولبة العالم)، فيصير الخالق هو عين مخلوقاته ، ومخلوقاته هي هو على حد تعبير (إسبينوزا) : حينما يحل الله في المادة فإن الطبيعة تصبح هي الإله، وبذلك يصبح الصوفي قادرا على التحكم في الإله والطبيعة والكون.

مصادر التصوف اليهودي:

أما مصادره فهي مجموعة من التعاليم الباطنية التي تتولى شرح الصلة بين الخالق والمخلوق، وتستخدم بشكل كبير من قبل بعض الطوائف، فهي رغم كثرة التركيز عليها لا ترتقي أن تكون مذهبا فكريا متماسكا، فهي لا تعدو كونها مجموعة من النصوص التي توجد خارج إطار الكتاب المقدس، والتي مرت بدورها بمراحل عديدة من النشأة والظهور، وأهم المصادر:

المصدر الأول ـ التلمود "القبالاه" نابعة من التـــــوراة :

ولذلك جاء دورها الفعال في العصور التالية له، ومنذ ظهورها أعطت موجة جديدة من موجات الـــروح اليهودية الخفية، ومن خلال دراسة تاريخ التصوف اليهودي تشكلت حلقات من أتباع (يوحنان بن زكاي)، وهو من معلمي المشناه، ومن مؤسسي التلمودية في القرنين الأول والثاني، وحاولت هذه الحلقات أن تغوص في أســـرار الخلق وطبيعة العرش الإلهي، وقد أسهمت أعمالهم في تأسيس أدبيات "الهالاخاه الصوفي" أو "الحجرات السماوية "، والتي ازدهرت في بابل في القرن السابع والثامن، والتي تصوّر سبعة قصور أو عوالم سماوية تسكنها الملائكة التي تسبح بحمد الله، ويوجد عرش الإله ، وحسبما جاء في قصص هذا الأدب إنه من خلال التدريبات الروحية

الصارمة من صوم وسهر يمكن أن يشعروا بأرواحهم وهي تصعد من خلال هذه السموات، وتتجلى لهم كل الأســرار وتكشف لهم كل الحقائق، ولعل سفر " تيزيرا" أو كتاب " الخلق" الذي يصف بنية الكون من خلال التجليات النورانية العشرة أو قدرات الرب العشرة "السفيروت" وحروف الأبجدية وقيمتها وقوتها.

ثم انتقل أدب الهالاخاه إلى جنوب إيطاليا ومنها إلى المانيا ؛ حيث ظهر نوع جديد من التصوف وصل منتهاه إلى القرن الثاني عشر، عرف اتباعه " أتقياء المانيا" الذين أكــدوا على ضرورة التركيز على العواطف والرغبات الدنيوية، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه "هيحاسيد" (ت 1217م) مؤلف كتاب سفر حسيديم ([18]) ؛ أي: "الأتقياء"، وحسيديم : جمع عبري للمفرد حسيد المشتق من الجذر " حســـــد " تدل على معنى: الاحسان وعمل الخير بصورة عامة ، والجمع حسيديــم على جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة من تاريخ اليهود تزعمها الحاخام " بعل شم طوب " في القرن الثامن عشر الميلادي ، هو مذهب صوفي تأثر بـ "القبالاه "، الفلسفة الصوفية اليهودية التي سيطرت على الحياة اليهودية في أوروبا في القرن السادس عشر، وتحث الحسيدية أتباعها على البحث عن كل وسيلة للالتحام والالتصاق بالخالق ، بل والتوحد معه، حتى يصل المؤمن إلى القوة الروحية الكامنة ، وذلك عبر حب الإله والثقة به وهجر الحـــزن والخوف ، ونشأت "الحسيدية" كـــرد فعل على التشدد الذي أبدته المرجعيات الدينية لليهود في أوروبا الشرقية ، التي تطرفت في إجبار أتباعها على تخصيص أوقات كثيرة لدراســـة العلوم الدينية بالإضافة إلى الحث على تهذيب النفس بالصوم والعبادات ، وهو ما دفع الحاخام (إسرائيل اليعازر) ، الذي كان يطلــق عليه " إسرائيل بعل شمطوف" إلى رفض هذه الدعوات ، حيث أخذ يحث على عــدم الزهد والصيام، باعتبار أنها مجلبة للحزن؛ وأن الخلاص الجماعي لا يمكن أن يتحقق إلا في آخر الزمان ، وهم جماعات ظهرت في فترات مختلفة في تاريخ اليهود يؤمنون بالفكر القبالي([19]).

المصدر الثاني ـ المدراش:

من الكلمة العبرية درش، أي : استطلع ، أو بحث ، أو درس ،أو فحص ،أو محص. وهو منهج لتفسير العهد القديم يســـعى للتعمق في بعض آياته وكلماته ،كما يتوســـع في تخريج النصوص والألفاظ ، وكافة الإضافات والتعليقات وصولا إلى

المعاني الخفية ، هذا ما أستفاد منه القباليون وأعتبروا ثمرته نواة لتشكيل آرائهم فيما بعد [20].

المصدر الثالث ــ المشناه:

كلمة عبرية تعني : يكرر وصارت بمرور الوقت تعني " يدرس " ، وتشير في المجمل الى تدريس وتفسير الشريعة الشفوية ، وخصوصا حفظها وتكرارها وتلخيصها ، والمشناه هي شـــروح وتفاسير ذات طابع موسوعـــي تتناول أسفار العهد القديم ، وتضم مجموع الشرائع اليهودية التي شرحها معلمو المشناه على مدى ستة أجيال ، وتعتبر من المصار الرئيسية للشريعة ، وتأتي في المقام الثاني بعد العهد القديم وسميت "الشريعة الثانية" أو "الهالاخاه" وصارت المشناه والهالاخاه مترادفين . فرغم كونها مصدرا أصيلا للقبالاه وأحـــد دعائمها الا أنها بمرور الوقت فقدت سطوتها بعد تمرد الحاخامات على التلمود والمشناه ، وصاروا يصدرون الفتاوى استنادا إلى الزوهار وأفكار اسحق لوريا كما سنرى لاحقا فصارت المشناه في نظرهم " مقبرة موسى " ، وصار الحاخام المتمسك بالمشناه " الحمار المشناوي " لأنه يكررها دون فهم [21]

المصدر الرابع ـ كتاب "الزوهـــــار"[22]

وهو كلمة عبرية تعني : "الإشراق" أو "الضياء"، وهو من أهم كتب "القبالاه"، وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية ، وينصب على المعنى الباطني للعهد القديم، يعود تاريخه إلى ما قبل الإســـلام والمسيحية ، ويضم مجموعة من الأفكار، وتشكّل أهم القضايا فيه (الطبيعة والإله)، تضمن الكثير من المقاطع التي تتحدث عـــن خلق العالم بواسطة الفيض، إذ جـــرى فيه التفريق بين ما أسماه الكتاب بـ "عين سوف"، وهو المبدأ الأول، غير المحدود، وغير النهائي، والذي لا يمكن أن تدركه العقول البشرية، أو تحيط به، وبين " الوهـــيم"، الذي ورد اسمه والحديث عنه في التناخ، والذي هو أحد الفيوضات المنبثقة عن عين سوف. من هنا ، فقد عملت القبالاه اليهودية على تصوير المبدأ اللانهائي بوصفه يصير علّة للتطور، وليس علة الخلق، تمثيلاً غير مباشر، أي : عبر فيض السيفروت. كما وتطرح عديد التساؤلات عن الإله وكيف يكشف عن نفسه لمخلوقاته ، وأســـرار الأسماء الإلهية، وروح الإنسان وطبيعتها، ومصيرها، والخير والشـــر، والماشيح المخلص.

المصدر الخامس ـ القبالاة "النبوية" أو "اللوريانية"

وتسمى -أيضا- " القباله" "المشيحانية "، والتي صارت بمـــرور الوقت نصوصا تضاهي في أهميتها التـــوراة والتلمود، وهذا مكمن الخطورة في هذه النصوص التي استمدت عبر الزمن طابعا من القداســـة، وهي مليئة بفنون السحر التي تمثل جانبا كبيرا من الطقــوس الدينية التي يمارسونها خفية.

مراحل التّصـــــــوف اليهودي:

التصوف داخل النســـق اليهودي له دلالات انعكست عبر مراحل تاريخية قديمة بِدْءا بالعهد القديم مرورا بالشريعة الشفوية ، وانعكست هذه الطبيعة الحلولية من خـــلال شيوع أفكار مثل " شعب الله المختار"، " وأمة الـــروح"، " والأرض المقدسة"، وتعد "القبـــــالاه" ثورة على التراث الحاخامي إلا وهي ضاربة في القدم ، فاذا تتبعنا جذورها وامتداداتها التاريخية يمكن الوصول إلى القرن الأول قبل الميلاد عبر جماعة الأسينيين، وفي أسفار الرؤى (أبو كاليس) واعتبرها بعضهم أنها جاءت من تعاليم "القباله" عند قدماء المصريين عند مغادرتهم مع موسى - عليه السلام - ، يقول الكاتب اليهودي برنار لا زاريه: " اقتنع الرأي العالمي لأسباب كثيرة بميل اليهود إلى السحر، الأمـــر الذي يدعوا إلى القلق هو اقتناعهم بهذه الفكرة .. وأن لها نصيبا من الصحة إلى حد ما ، لاسيما وقد كانت منتشـــرة في القرون الوسطى، وكان الناس يعتبرون اليهود سحرة ممتازين، وفي التلمود دروس خاصة في الدّجل، ونحن عاجزون عن تتبع العلوم الإبليسية في التلمود وخاصة القبالاه"[23].

وتراث "القبالاه" الصوفـــي تراث ضخم وضع أسس التفسيرات الصوفية الحلولية في الزوهار والباهير، وحلت محل التوراة والتلمود ، بعد انتشار الحركات المشيحانية الصوفية الحلولية بين الجماعات اليهودية عبر التاريخ، فكان التفسير الفلسفي نادرا ولم يظهر بينهم إلا تحت تأثير الحضارة الإسلامية كفيلون السكندري الذي كان متأثرا بالحضارة الهيلنستية ، ولم يعرف العبرية مطلقا.

"القبـــــالاه" في طـــورها الأوروبي ونشـــــوء مدرســـــة إسبانيا:

ظهرت في فرنسا وكان من أهم العارفين بها "إبراهـــــام بن داوود" ، وابنه إسحق الأعمى ، اللذان بدأ يتداولان كتاب "الباهير" الذي ظهر بادئ الأمر في بروفانس بفرنسا في القرن الثاني عشر، ثم انتقل مركز " القبالاه" بعد ذلك إلى إسبانيا بالتحديد في قطالونيا، وحينما تذكر إسبانيا في تاريخ " القبالاه" كمرحلة حديثة متطورة فنحن نتكلم عن " الزوهار" ومؤسســـــه الحبر اليهودي "موشي ديلون" الذي ينسب الزوهار

إليه، وبالتحديد في القرن الثاني عشر والثالث عشر، ففي السابق كانت تعاليم "القبالاه" كلها شفوية وطقوسها سرية.

فنشأت هناك حلقات من التصوف تسعى للتواصل مع الإله من خلال التأمل في حروف الكتاب المقدس وقيمتها العددية، ومن أبرز متصوفي هذه الفترة إبراهام بن شموئيل أبو العافية (1240م – 1291م) ، ووصلت هذه الفرقة إلى منتهى أفكارها بظهور كتاب "الزوهار" الذي تنسب له الأنساق القبالية التي ظهرت بعد ذلك، كما كان لهم مركزا في مدينة صفد بفلسطين عام (1421م)، وكان من دواعـــي انتشار "القبالاه" في هذه المرحلة رفضا للتراث التلمودي الذي وضعه الحاخامات الذين ارتبطوا بالأثرياء ويهود البلاط في إسبانيا، كما رفضوا التراث الفلسفي الذي أسسه ووضع دعائمه موسى بن ميمون وغيره من الفلاسفة المتأثرين بالفكر الإسلامي، ونعتوا كتب هؤلاء المفكرين بالكتب الشيطانية.

وفي القرن الرابع عشر والخامس عشر انتشرت "القبالاه" في إيطاليا وبولندا بعد طـــرد اليهود من إسبانيا عام (1493م)، وظهر نوع جديد من "القبالاه" عرف "باللوريانية" نسبة إلى إسحق لوريا، الذي طـــور الكثير من المفاهيم القبالية، فبدأ اليهود يناقشون قضايا العالم الآخـــر؛ أي: (مشاركة الإنسان اليهودي الحقيقة مع الله)، وتم الربط كذلك بين النزعة المشيحانية التي تؤمن بـ(عقيدة الخلاص لدى اليهود)، ولهذه الآراء أصداء في التاريخ، ولا زالت تـــؤرق كل يهودي إلى عصرنا، متمثلة في رغبتهم في السيطرة على الكون وبـــروز نزعتهم القومية والعرقية، فاللوريانية تربط بين السيطرتين على الباطن والظاهر، فمن خلال التدريبات الصوفية الفردية الباطنية للخلاص الفردي ، ثم هناك نـــزوع آخر نحو الخلاص الجماعي من ربقة الاستعباد للشعوب الأخـــرى التي أذاقتهم الويل، ومن تم السيطرة على الكون بأسره ، فاللوريانية تعلي من شأن النزعة القومية على حساب النزعة الفردية، فقد كرس الربي شمعون لوريا مجمل وقته خدمة لهذا المشروع.

"القبالاه" خارج إسبانيا.

بخـــروج اليهود من إسبانيا بين عامي (1479م - 1492م) خرج بذلك كبار القباليين وانتشرت أفكارهم في شمال إفريقيا وإيطاليا والشرق الأوسط (القرن الخامس عشر الميلادي)، وصارت أكثر تأثيرا على أهل المناطق الجديدة، وبحلول منتصف القرن السادس عشر وأصبحت " القبالاه" عنصرا أصيلا في الحياة اليهودية، فظهر

جيل جديد عمل على المحافظة على تراث الآباء والأجداد ، وامتزجت في هذه المرحلة التعاليم الربانية مع الآراء الفلسفية والقبالاه والســـحر.

كما كان لها حضور في البيئات الجديدة بعد إقامة اليهود فيها فلسطين، وبالتحديد في صفد، وبعد (القرن السادس عشر) صار القدس من أهــم مراكزها، وعلى مدى قرن من الزمان كانت صفد ميدانا للتطورات، خاصة بعد مجيئ (يوسف كارو) و(شلومو هاليفي)، اللذان قاما بتأسيس مركز كان نواة للنشاطات القبالية، ولعل أبرز الشخصيات في فلسطين هو (موشيه لوردو هيرو) (1522- 1570م)، وقد جمع بين قبالاة إسبانيا وقبالاة فلسطين، وبعد وفاته تطورت تعاليمها على يد تلميذه (إيزاك لوريا)، فطــور بدوره وعمق كثير من الآراء والسلوكيات، فانتشر نوع جديد من "القبالاه"، إلا أن تعاليمها في أغلبها شفوية تفتقر إلى التدوين وكان دورها هامشيا.

مرحـــلة الأندلـــــس :

نجد من الذين قاموا بتطـــوير التصوف اليهودي في الأندلس قبل تهجيرهم الحاخام إبراهيم أبو العافية (1240-1291م)، وهو صوفي قبالي، ولد في إسبانيا، انظم إلى دراســـة الشريعة، والتلمود، والدراسات القبالية، اطلع على دلالة الحائرين لموسى بن ميمون، وقام بتفسيره وفق المنهج القبالي، تنقل بين فلسطين، واليونان، وإيطاليا، وغالبا ما ظهرت حالات التصوف في الوسط اليهودي في أوقات معينة، ولم تستمر طويلا، فلقد غلب عليه ظهور النزعات الحلولية، إضافة إلى توظيفه في المرحلة المتأخرة خدمة للمشـــروع الصهيوني، فهو المغذي للحرب، والاستيطان، والاقتتال، واغتصاب الحقوق.

ومن أبرز متصوفة اليهود موسى بن ميمون، ويمكن ملاحظة النزعة الحلولية في فلسفته بشـــكل واضح، ويعود الفضل في نزعته العقلية للفكر الإسلامي، وابنه الحاخام إبراهيم بن ميمون (1186-1237م) الذي ترأس قبل بلوغه العشرين عاما الطائفة اليهودية في مصر بعد وفاة والده، ترك العديد من المخطوطات التي كانت في مجملها عبارة عن أجوبة لكثير من التساؤلات المطروحة آنذاك، وجدت بعد وفاته في "كنيس عـــزرا" بالفسطاط في القاهرة، وهو أحد ممثلي المنهج الصوفي في العبادة اليهودية التي تسمى "الحسيدوت" المشتقة من الحسيديم أو "التقوى"، وهم جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة، وهـــم يؤمنون بالفكر القبالي، يقول: "إن اليهود قد نسوا هذه التقاليد الروحية في خضم محن المنفى، وأنه لا بد لهم من العودة لممارستها"([24])، كما أضاف سلسلة من التعديلات في الطقوس والسلوكيات الإسلامية والصوفية، وعلى سبيل

الحصر يمكن ذكر بعض الأشياء التي أضافها إبراهيم بن ميمون على التصوف اليهودي:

- ضرورة غســـــل اليدين والقدمين قبـــــل الدخول إلى الكنيس اليهودي لأداء الصـــلاة ([25]).
- الدخول إلى مكان العبادة وانتظار الصلاة كما كان يفعل المسلمون.
- انتظام المصلين في صفوف والتوجه نحو القدس، ويقول في هذا الشأن: "إن أبانا إبراهيم حدد القبلة في جبل المرايا كما يتوجه المسلمون نحو الكعبة"([26]).
- الخلوة.
- الأناشيد وإقامة الذكر.
- ضبط الأنفاس ومراقبتها كنوع من الرياضات الروحية.
- حركات الرأس والإيماءات الخاصة.
- الانخطاف الذي يصل إليه في حالات الذكر الشديد.

المرحـــــــلة الحديثـــــة :

أما في العصر الحديث فنجد المرحلة الحديثة. أن سبينوزا [27] بفلسفته الحلولية في مقدمة المفكرين اليهود، ويبدو أنه مثل ماركس متأثر بالنزعة المشيحانية في اليهودية وهي نزعة حلولية واحدية معادية تماماً للتاريخ وللحدود وتـــرى أن كل تفاصيل التاريخ والكون تفاصيل مؤقتة ، تؤدي جميعاً (في نهاية الأمر وفي التحليل الأخير) إلى العصر المشيحاني (والفردوس الأرضي عند نهاية التاريخ) الذي سيحدث فيه تغيُّر كامل لكل شيء. وهذه النقطة عند (إسبينوزا) تأخذ شكل الإدراك الكامل لقانون الضرورة والحتمية، وهي المعرفة الشاملة بكل الأمور بحيث يصل الإنسان في معرفته إلى مرتبة الآلهة، وهي معرفته بأنه ليس ثمة حرية ولا معنى خاص له ، وأنه جزء من كل مادي يتحرك حسب قوانينه الذاتية التي تستطيع الإرادة الإنسانية التدخل فيها ، وتحوَّلت هذه الفكرة عند ماركس إلى فكرة الحتمية التاريخية وقوانين الجدل المادية التي ترتفع بالإنسانية جمعاء إلى المجتمع الشيوعي (في نهاية الأمر) حيث يتم التحكم الكامل في الذات والموضوع. ومع هذا، يجب تأكيد أن هذه النزعة المشيحانية السياسية العلمانية هي تيار واضح بين المفكرين العلمانيين الغربيين سواء كانوا من أصول مسيحية أم كانوا من أصول يهودية . بعد إسبينوزا لم يظهر داخل التشكيل الحضاري الغربي ولمدة قرنين من الزمان فيلسوف مهم من بين أعضاء الجماعات

اليهودية. فجميع الفلاسفة البارزين من أعضاء الجماعات اليهودية وُلدوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدأوا يكتبون في العقود الأولى من القرن العشرين.

فظهر فكر عضوي يتحدث عن " تفرُّد اليهود" وعن "الشعب العضوي " و"حركة التاريخ اليهودي" و"الشخصية اليهودية". وتبلور هذا الفكر في نهاية الأمر في الفكر الصهيوني. ولعل الانتقال من فكر حركة الهسكلاة، أي : "التنوير" أو "الاستنارة"، وقد أُطلقتْ هذه الكلمة على الحركة التي ظهرت بين يهود أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر "حوالي 1750م – 1880م"، والتي كانت تنادي بأن على اليهود أن يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنيَّة الكاملة؛ عن طريق الاندماج في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها.إلى فكر العداء للاستنارة يتبدَّى في ظهور اليهودية الإصلاحية (ثمرة حركة الاستنارة والتفكير الآلي) ثم اليهودية المحافظة (ثمرة حركة العداء للاستنارة والتفكير العضوي).ويبدو أن الفلاسفة من أعضاء الجماعات اليهودية يحققون بروزهم داخل الحضارة الغربية في لحظات الانقطاع الحادة. فإسبينوزا ظهر عند ولادة المنظومة العلمانية في إطار العقلانية المادية (وتواري المنظومة المسيحية) وعبَّر عنها أبلغ تعبير. أما (برجسون) [28] ، و (هوسرل) فظهرا بعد ميلاد اللاعقلانية المادية (بعد مقتل العقلانية المادية على يد نيتشه) وهما أيضاً عبَّرا عنها أبلغ تعبير بداية من القرن السابع عشر بعد أن فشلت "القبالاه" اللوريانية، ولم يعد في إمكانها الصمود في وجه موجات التطور والحداثة، فكان لزاما أن تتخذ "القبالاه" أوجه جديدة أكثر ملائمة لروح العصر، ولعل من أهم شخصيات "القبالاه" في القرن السابع عشر الياهو بن سلومون زالمان المعروف "غاؤون فيلنا" (1720م–1797م)، ويعقوب أمون (1797م- 1776م)، وفي المجمل فإن "القبالاه" الحديثة هي اللوريانية، إلى جانب القباليين السيفارديم في أكاديمية "بيت إيل" في القدس، ويعود لهذه المدرسة الدعوة إلى قيام دولة بني إسرائيل خاصة بعد حرب 1967م، وكان في مقابل هذا ظهور المدارس القبالية التي انتشرت وذاع صيتها، وعاشت في وجدان كل يهودي، إلا أن هذا لم يمنع ظهور بعض الدخلاء، وبالتحديد في بولونيا، مثل: " إسرائيل البدولي" الذي أسس جماعة "الحسيديم"، وهى طائفة حديثة ظهرت في بولونيا عام 1740م، وتعود تعاليم هذه الجماعة إلى الزوهار، وإن كان مؤسسها غير ملتزم بتعاليمها، والتي تدور في مجملها حول فكرة أن الكون صورة من صور الله، بل الكون كله الله، وأن الشر عنصر من عناصره، فالشر وفق ذلك ليس سيئا في حد ذاته، بل مكمن السوء حينما يتصل

بالإنسان، ومن ثم فلا وجود مادي للخطيئة، وكان بارعا في فنون السحر، فالتفت حوله الاتباع الذين خرجوا عن تعاليم التلمود ومبادئه بسببه.

ولعل من أبرز تأثيرات ذلك ظهور الجمعيات القبالية في القرن الثامن عشر "الفرانكيين" نسبة ليعقوب فرانك 1755م، الذي استطاع استمالة الكثير من الاتباع في بولونيا، والذين آل بهم المطاف بخروجهم من اليهودية إلى النصرانية كما فعل هو نفسه، تم استقر في ألمانيا وتوفي عام 1791م، وخلفه صموئيل فوك زعيم الشعب اليهودي، الذي كان يدعي أنه يمتلك قوى خفية، وأنه يستطيع اكتشاف الكنوز، وحكم عليه بالحرق لاتهامه بالسحر، ففر إلى إنجلترا؛ حيث وجد الترحاب، ومات فيها عام 1782م.

الفكر القبالي اليهودي وأثـــره في الفكر الغربي المعاصـــــر:

يعتبر المفكّر المصري عبد الوهاب المسيري من أبرز الكتاب العرب الذين اهتموا بهذه القضية، كما عمل على كشف جذور الفكر القبالي اليهودي، وتأثيره على الاتجاهات الفكرية المعاصرة في أوروبا في تيار ما بعد الحداثة وخطابها الذي أسهم في تأسيسه أعضاء مدرسة "فرانكفورت" المنحدرون من أصول يهودية، هذا الخطاب الذي اعتبر تحديا لنزعة الحداثة، وتجاوزا لقيمتها، فانتقدوا مشـــروع الحداثة، وهاجموا أفكار عصر "الأنـــوار"، معتبرين "أن العقل الذي جاء لتحرير الإنسان الغربي من سلطة الكنيسة انحرف عن مساره، وتحوّل إلى قوة قمعية تمارس سلطتها على الإنسان، شأنه في ذلك شأن العلم ومنتجاته التكنولوجية، وطرحوا آراء كالتشيؤ، والاستلاب، والاغتراب، وهو الشعور الذي لازم اليهود عبر تاريخهم، وضمن كل البيئات التي أقاموا فيها ، وهذا سبب "اهتمامهم منذ بداية أمرهم بتكريس قدر كبير من بحوثهم الاجتماعية لقضايا الطبقة -الطبقة العاملة- ومشكلاتها، وألوان الظلم الذي تتعرض له"[29] بشكل عام والتفكيكية بشكل خاص، وتطرق إلى ذلك في موسوعته "اليهود واليهودية والصهيونية " للتعريف بالقبالة، وتـــوّرط كثير من المفكرين للتمهيد لفكر الصهيونية، وهي حركة يهودية تسعى بكل الوسائل إلى إعادة مجد بني إسرائيل، وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، ومن تم السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك اليهود المسيح المنتظر[30]، فأغلبهم كان ينضوي في جمعيات يهودية سرية، وظلوا على صلة وثيقة بتراثهم القبالي[31]، كما أشار سعد البازعي في كتابه " المكون اليهودي في الحضارة الغربية "، وأشار الفيلسوف الألماني (يورغـــن هابرماس) إلى قيام هذا التأثير القبالي والفلسفة الألمانية بقوله : "غير إننا حين نقوم

بتشريح التركيبة الثقافية التي تميز الفلسفة الألمانية في القرن العشرين، ونعاين عناصرها ونقدر أوزانها ، ونلحظ بما لا يدع مجالا للشك وحتى في الميادين التي يعتبرها البعض مقصورة على الألمعية الألمانية، غلبة أولئك الذين يريدون هذا الحكم المسبق قذفهم خارج ساحات الإبداع"[32] , ويعتبر (كانط) أعظـــم تجلي لامتزاج التراث القبالي في الفلسفة الألمانية ، وقد أبرز تأثيرات اليهودية على فكر (كانط) التي أضفت على فلسفته طابعا من الروحانية مهما لاستمراها، وبالتحديد " البروتستانتية " [33]، كما اعتبر طه عبد الرحمن (كانط) النموذج الأمثل لهذا التداخل بين الفلسفة الألمانية والديانة اليهودية [34]، كما يذهب بعض المفكرين إلى رد نظريات (فرويد) إلى أصولها اليهودية الذي كان شديد الاعـــتزاز بيهوديته، الأمـــر الذي جعله في إحدى مؤلفاته يشن الهجوم على الإسلام، ويعتبر " قيام الديانة المحمدية كان تكرارا على نطاق ضيق للديانة اليهودية، وأن الديانة المحمدية ظهرت مقلدة للديانة اليهودية "، كما أنها ديانة ينقصها العمق الذي تحلت به اليهودية[35].

وأبرز تجليات القبالة ظهرت فيما يعرف بـ" التفكيكية"، والتي تحمل في مضمونها دلالات الهدم والتقويض والتخريب والتشـــريح ، ويعتبـــر الفيلسوف الفرنســـي (جاك دريدا) أوّل من استخدم " التفكيكيّة " في معناها الاصطلاحي أواخـــر ستينيات القرن العشرين، بغية تفكيك بنية الخطاب، وهي في تصوّره هدم منهجي للميتافيزيقا الأوروبيّة، وقد " بدأت في واقع الأمـــر مع المشروع التحديثي الغربي، وتصاعدت حدتها في القرن التاسع عشر، ثم وصلت إلى قمتها مع الحركة التفكيكية في أواخـــر القرن العشرين"[36]، أما عن صلتها العميقة بالقبالة ؛ بل وتتجاوزها للصهيونية، على اعتبار أن التفكيكية وريثة التراث القبالي اليهودي، ويجملها عبد الوهاب المسيري في النقاط التالية :

- إن كثيرا من الأفكار التفكيكية وما بعد الحداثة ذات أصول يهودية، وتتشابه مع الأفكار القبالية، مثل : التمركز حول اللوغس، و" الاختلاف"، و"الأثر" التشتيت، و"الكتابة الأصلية"، و"الثنائية"، و"العمل والنص".

- التمركز حول اللوغس . يؤكد المسيري أن "التمركز حول اللوغوس في التراث اليهودي حالة مستحيلة من تغوص في أعماق الماضي حينما كان يهود يحل في الشعب ويقوده في البادية، ويدخل معه في علاقة حوارية مباشرة، كما يوجد التمركز حول اللوجوس في نهاية التاريخ في اللحظة المشيحانية، حين يجمع الإله شعبه المبعثر ويحل

فيه، ويقودهم مرة أخرى إلى أرض الميعاد ليسود العالم، أما فيما بين اللحظتين، وهو التاريخ بأسره، فإن الإله غائب و"اللوجوس" غير موجود، فلا يمكن التمركز حوله على عكس ما يتصوره المسيحيون، فهي حالة تبعثر وتشتت وصيرورة عبثية كاملة"[37].

- التفكيك سمة أساسية في الصهيونية، فالصهيونية بتأثير "القبالاه" الحلولية تقوم بتفكيك كل من اليهودي والعربي ضمن عملية التهجير، فيصبح اليهودي هو المستوطن والفلسطيني هو المهجر[38].

- تقوم على تدمير الأخلاق في العالم ونشر الرذيلة والتجسس والإرهاب والحروب والفتن ، وهي التي تعتبر الكذب والغدر من الفضائل ، كما يعتبر الدكتور أحمد شلبي "أن مصادر الفكر اليهودي هي العهد القديم والتلمود والبروتوكولات"[39]، فهي الجهاز التنفيذي لليهودية العالمية التي تسعى إلى تدمير العالم والتحكم في مصائره[40].

كما يمكن المقارنة ما بين التفكيكية والقبالة من أوجه شبه، يمكن تلخيصها كالتالي:

- كلاهما يهتم بالتصوف اليهودي القبالي.
- الاهتمام بكل ما له صلة باليهود، سواء أكانوا كتاب أو فنانين أو مثقفين.
- اعتمادهم على نظرية (فـــرويد) في التحليل النفسي.
- اللجوء إلى طرق التفسير اليهودية في "المـــدراش" وتوظيفها باعتبارها استراتيجيات نصية تفسيرية.
- الميل إلى النزعات الثورية والمضادة لما هو سائد في الآداب الغربية.
- شعورهم بالاختلاف وأنهم يحملون خلفيات مباينة لباقي الشعوب المحيطة.
- النزعة الرسولية لدى بعضهم باعتبارهم رســل ثقافة أو مصلحين[41].

هذا ويعتبر المسيري أن آراء (فـرويد) عن الإنسان والكون جزء لا يتجزأ من المشـــروع اليهودي القاضي بتقويض الأديان والثقافات وهدمها خدمة للمشروع اليهودي، أما عن أشهر نظرياته حول " التحليل النفسي" التي لا يمكن فهم أبعادها إلا في ظل الفكر القبالي اليهودي، فالجهاز النفسي يتكون فرضيا من (الهو id) ، وهو الصورة البدائية للشخصية التي يقوم المجتمع بتهذيبها، وتضم الغرائز والدوافع والعدوانية، و (الأناego) ، وهو مركـــز الشعور والإدراك الحسي الداخلي والعمليات العقلية، و (الأنا الأعلى super- ego) ، وهو مستودع الماديات والأخلاقيات والضمير والمعايير الاجتماعية كالخير والحق والعدل، فهو بمثابة سلطة داخلية أو رقيب نفسي[42]، وبالرغم من اختياره هذه المصطلحات اليونانية أسطورة أوديب إلا أن

توظيفها قباليا فيقال : أن كلمة "id " هي اختصار "يبد "، ومن اليديشية؛ أي : يهودي[43].

ويمكن إجمال أوجه التشابه بينها وبين " القبالاه " قيام كليهما على فكرتي تفسير "الأحلام" و"الجنس "[44]، فقد اعتمد (فرويد) في تفسيره للأحلام على تقنية تجزئة الحلم إلى أجزاء، ثم يحصل الترابط بينهما وفقا لكل قطعة على حدة أمام مصطلحات جهازه النفسي ، أما عن صلة القبالة بفكرة الجنس التي ارتكز عليها فرويد فإن العملية توصف بأنها المعرفة ، وضمن إيمانهم بالحلول أن علاقة الإله بالشعب اليهودي تدخل ضمن هذا المفهوم.

وأهم مفكر ديني يهودي (مارتن بوبر) [45] الذي اهتم بالتصوف اهتماما شديدا، ويعد من أبرز أقطاب التصوف في تاريخ الفكر الحديث في الغرب الذي ينحى نحو النزعة الحلولية في التصوف، هذا ويمكن القول بأن (بوبر) هو والمفسِّر والمترجم المعاصر للخبرة الحسيدية . فقد كان ينظر إليها كينبوع للتجديد الروحي لليهودية ، بما هي تؤكد على جوانبها الاجتماعية والخاصة . فالمبدأ الحسيدي يقتضي، بحسب (بوبر) ، حياةً توجد فيها الألوهة مع الإنسان وجودًا دائمًا، ولا تمييز فيها بين الحياة الخاصة والخبرة الروحية. وفي هذا المفهوم، كانت المساهمة الرئيسية لفلسفة (بوبر) الأنثروبولوجية التي تنطلق من اعتبار العلاقة بين الإنسان والآخر حوارية، وفهم بوبر الحسيدي هذا عرَّضه لانتقادات لاذعة من الكثيرين من بني ملَّته الذين وصفوا مفاهيمه تلك بالرومانسية، كما رفضوا تجاوزاته لشريعته اليهودية. وهذا في نهاية المطاف من قبيل الهزل، لأن مقاربة بوبر الفلسفية والحسيدية لم تكن في الواقع إلاَّ لإثبات أن التدين الحقيقي للإنسان إنما يتجاوز العقائد.

ومنذ عشرينيات القرن الماضي و(بوبر) يدعو إلى دولة ثنائية القومية، ويهيب باليهود إلى الإعلان عن رغبتهم في التعايش في سلام وتآخٍ مع العرب، بحيث تتطوّر هذه الأرض المشتركة بينهما إلى وطن يكون بوسع كلا الشعبين فيه أن يتفتحا عن أبعادهما كاملة ، ومن هذا المنطلق كان فهم (بوبر) للصهيونية يرفض تحويلها إلى مجرد قومية، بما ينجم عن هذا الفهم من إقامة دولة يسيطر فيها اليهود على العرب. فمن منظوره، كان يجب على الصهيونية التوصل إلى تسوية يتعايش فيها اليهود مع العرب، ولو أدّى ذلك إلى بقاء اليهود أقلية في هذا الوطن المشترك، فنراه، منذ العام 1925م، ينخرط في حركة تحالف السلام الداعية إلى إقامة دولة ثنائية القومية، لذا، ومن منطلق

إيمانه العميق بأنه سيأتي يوم يعيش فيه العرب واليهود في سلام جنبًا إلى جنب، نراه، منذ قيام دولة إسرائيل في العام 1948م ، وحتى وفاته في العام 1965م، يدعو إلى انخـــراط إسرائيل في فدرالية شرق أوسطية واسعة والتخلِّي بهذا عن مفهوم الدولة القومية الضيق.

فلســـــــفة "القبالاه" :

تقوم فكرة "القبالاه" على ما يسمـــى "شجرة الحياة "، وهي شجرة أصلها في السماء وفروعها على الأرض، وتتكون من عشر طبقات ، ومبدأ التجليات (السفيروت) هو التطور في عملية التجلي وما يتبعها من فيض كل يؤدي إلى شيء آخـــر، وهنا يلاحظ تأثر فكرة التجليات هذه بالأفلاطونية الحديثة عند حديثها عن الرؤية الفيضية للخلق . وتنقسم التجليات النورانية إلى ثلاث مجموعات عقلي، مادي، وروحي. وترتيبها كالآتي:

المجموعة الأولـــى تضـــم:

التجلي الأول – كيتر عليون أي التاج وهو الفيض الذي انبثق من (الأين سوف) وهو حلقة الوصل بين اللامحدود والمحدود.

التجلي الثاني – حوخمه – الحكمة– وهو الفكر الإلهي الذي يسبق الخلق ويمثل الأب.

التجلي الثالث – بيناه – الفهم – العقل الذي يميز بين الأشياء وتمثل الأم. و(الحكمة) و(الفهم) انبثقا من التجلي الأول وهو التاج.

المجموعة الثانية تضم:

التجلي الرابع – جيدولاه – الرحمة يمثل الأب.

التجلي الخامس – جيبوراه – العدل– ويمثل (أم)، وهي مصدر الحكم الإلهي والشريعة، وينتج التجلي الرابع والخامس

التجلي السادس وهو تفئريت – الجمال.

المجموعة الثالثة تضم:

التجلي السابع وهو نيتسح أي النصر.

والتجلي الثامن – هود وهو المجد وينتج التجلي السابع والثامن

التجلي التاسع يسود عولام أي أساس العالم.

أما التجلي العاشر – ملكوت – أو السيادة

التجليات النورانية العشرة تمثل ما يعرف في التصوف اليهودي (ادم قدمون) ، وهو الإنسان الأول أو الأصلي الذي يوجد الملكوت عند قدميه وتشكل أعضاء جسمه التجليات العشرة. فالتجليات الثلاث الأولى تشكل رأسه، والتجلي الرابع والخامس

ذراعاه، والتجلي السادس صدره، والتجليات السابع والثامن ساقاه، والتجلي التاسع عضو التذكير. أما التجلي العاشر فيشير إلى الصورة كلها. وفكرة (آدم قدمـــون) فكرة غنوصية تصوّر الإنسان الأول. وخلافا لليهودية البسيطة تعلم " القبالاه" أن خلق العالم قد تم عبر سلسلة من الفيض والانبثاق من الألوهية، "علم نشأة الكون" والتراكيب المطلقة "السفروتات العشرة "[46] كموضوع مثير، في وقت تتجه فيه الأنظار نحـــو الغرب تلتمس لديه أصداء التجربة الحضارية، وفي ذلك تتجلى أهمية البحث في مثل هذا الموضوع ، وفي هذا الوقت الذي تســـوده التيارات وتتنازعه الأهواء، من أجل الوقوف عليها وكشف سلبياتها .إن أولى النفحات الإلهية تحتوي على النجوم والســـدائم ، ثم الكواكب السبعة، ويخرج من التاج نفحتان : الأولى عن يمينه والثانية عن شماله، ثم الطبقة الداخلية التي تضم الأرض والإنسان وسائر المخلوقات، وعلى كل طبقة يوجد ملاك حارس، إلا الطبقة السفلى ما بين الأرض والقمر فهي تعج بالشياطين الذين يمنعونها من الاتصال بهذا العالم، أما القلة التي تستطيع أن تنفذ إلى هذه الطبقات فهم الذين يعرفون كلمة المرور، وأن المعرفة والعلم هما الوسيلة لهذا المرور، ولعل أهم تلك العلوم هي السحر، وأن روح الإنسان أثناء هبوطها للجسد تمر بكل هذه الطبقات، وتكتسي بكل طبقة صفة، كما أنها في حنين دائم إلى العودة لذلك الأصل، ولعلنا نلحظ بجلاء عديد التأثيرات الشرقية واليونانية لهذه الفكرة، أو هو الأساس التي قامت عليه كثير من النظريات كالفيض . وتدور موضوعاتها حول البحث في طبيعة الكون والإنسان والطبيعة والغاية من وجودهم، وتطرح العديد من التساؤلات الوجودية حول هذه القضايا، وبالتالي تسعى بكل السبل لفهم طبيعة هذه العلاقات المتداخلة التي تشغل العقل اليهودي، كما شغلت وحيرت عقول كثير من الشعوب منذ الأزل.

الحركات المنبثقة عن التصـــــوف اليهودي:

الشبتانية:

لقد مهد الفكر القبالي اليهودي العقل اليهودي لفكرة "الماشيح" المخلص، وأدعى "شبتاي تسفي (تركي الأصل)" بأنه المخلص لليهود، وأنه سوف يقوم بوضع حد لمعاناتهم واضطهادهم من قبل الشعوب الأخرى، وعودتهم مجددا لأرض الميعاد، أرض الآباء والأجداد في فلسطين، هذا وصدقه كثير من اليهود، وأخذوا يستعدون للعودة، وانتقل الفكر الشبتاي إلى كثير من القيادات والحاخامات، مما مهد للحركة الصهيونية، ولا بد لهم من ترك فكرة الانتظار، بل لا بد لهم من الإسراع إلى النهاية، ليبدأ العصر المشيحاني "بظهور "الماشيح"، وهذا ما جعل (هرتـــزل) يعجب بشبتاي تسفي ،

وقد حدد 18 يونيو 1666م تاريخا لبداية العصر المشيحاني، وهنا تبـــرز الصلة الوثيقة العميقة بين القبالاة والصهيونية ، وبالفعل تم انضمام القباليون التلموديون إلى مؤتمر بازل (1897م) تحت راية (هرتزل) ، وفي هذا المؤتمر الذي اتخذت فيه عدة مقررات " بروتوكولات بني صهيون" خدمة للمشروع الصهيوني، الذي استفاد كثيرا من أفكار "القبالاه"، ولعل ما نجـــده في البروتوكول السابع عشر، الذي يجعل مهمة كل يهودي التطوع والتجسس على كل مسيحي ومسلم عندما تقوم الدولة الداودية المزعومة، والغريب أنه حين قبضت عليه السلطات التركية بتهمة إثارة الفتنة الدينية اعتنق الإسلام ظاهريا باسم (عزيز محمد أفندي)، تحت مبدأ التقية، ولعل أبرز آرائه أن "القبالاه":

- تنهض لمحاربة الشر.
- الإيمان بالهين اثنين إله لليهود وآخر للناس كافة.
- الاعتقاد وفق الحلول بالشيخناه، وهي حلول الله في الشعب اليهودي.
- كل الموجودات هي فيض من رب العالمين، وهو العلة الأولى، ومنه كان إله بني إسرائيل العلة الثانية، ثم باقي الموجودات فيضا منه فيما يسمى "تسيم تسوم"[47].

ولما مات شبتاي 1675م أدعى ناثان الغزاوي أنه لم يقبض ككل البشر، ولكنه رفـــع وساح في الفضاء، وانتشر مع الضياء العلوي، وغلاة الشبتية هم "الدونمة"، وهو لفظ أطلقه الأتراك على اتباع شبتاي، ويعني: "الفرقة القائمة على نوعين من الأصول"[48]، الفرانكية نسبة إلى يعقوب فرانك، وتعود نشأتها إلى عام 1759م، حين تنصر هو واتباعه وأبطنوا عقيدتهم الغنوصية ؛ حيث كان يعتقد بتناسخ الأرواح، وتصل الحلول إلى منتهاه على يديه ، فيقول بحلول الله في المادة، لتصبح وحدة وجود مادية كاملة ، وتصبح المادة مقدسة، ويصير الإنسان إله، وتنقلب القيم رأسا على عقب، فيتساوى الخير والشر، والوجود والعدم، وتبدو الإضافات التي على "القبالاه" ويتحدَّد إسهام فرانك في أنه خلَّص القبالاه من رموزها الكونيَّة المترابطة المركبة، ووضعها في مُصطلح شعبي مُزخرف، وفي إطار أُسطوري ، بل طَعَّمها بصور نصرانية مألوفة لدى يهود شـــرق أوروبا، الذين اختلطوا بالفلاحين السُّلاف في الريف، وابتعدوا عن مراكـــز الدراســـة التلمودية في المدن. وتدور الفرانكية حول ثلاثة أفكار رئيسية وهـــي:

1- الإله الخير، وهو إله خفي يختبئ وراء أعضاء الثالوث، ولا علاقة له بعملية الخلق ؛ لأنه لو خلق الكون لكان الكون كله خير مثله، ولكان خالدا أبديا، لا نهاية له مثله وحياة الناس أبدية.

2- الأخ الأعظم، يسمي بالذي يقف أمام الإله ، وهو الإله الحقيقي للعقيدة الذي يحاول العبد التقرب منه ، ومتى ما نحج العبد في الاقتراب منه يستطيع الإطاحة بحكام العالم الثلاث: (قيصر روسيا، السلطان العثماني، قوى أخرى).

3- الأم "علماه " أو العذراء "بتولاه" أو هي مزيـــج من العذراء الشيخناه والعذراء مريم، وهى صورة الأنثى في الثالوث الفرانكي، وفي الخلاص يظهر "ماشيح "جديد يكمل الطريق، ولا بد أن تظهر الأم كتجسيد مادي للعنصر الأنثوي، ولكي يحدث الخلاص ينبغي أن يسير المؤمن بالعقيدة الفرانكية في طريق عيسو، وهو رمز تدفق الحياة، الذي سيحرر الإنسان والحياة ، فهو قوة لا تخضع لأي قانون، بل هو قانون حالة من السيولة الكونية.

هذا وشن فرانك حربًا شعواء على التلمود ، وأعلن أن الزوهار هو وحده الكتاب المقدس لذا الفرانكيون ويدعـــون باسم " الزوهاريين"، ومع هذا وصلت العدمية بفرانك إلى منتهاها، إذ طلب من أتباعه التخلي عن الزوهار نفسه ، وعن كل تراث قبالي وكانت كل هذه الأفكار تعمل على إعداد أتباعه للتنصر الماراني الظاهري؛ حيث كان لهم شرط أساسي هو الاحتفاظُ بشـــيء من هُويتهم اليهودية العلنيَّة، كأَن يمتنعوا عن حلاقة سوالفهم، وأن يرتدوا الثياب الخاصة بهم ، ويبقوا أسماءهم اليهودية إلى جانب أسمائهم النصرانية الجديدة، وألاَّ يأكلوا لحم الخنزير، وأن يستريحوا يوم السبت.

الحســـيدية :

من "حسيدوت"[49]، وهي مصطلح مشتق من الكلمة العبرية حسيد ؛ أي: تقي، ويقصد بها الرجل الصالح الذي يعامل الناس بالحسنى، وينفذ وصايا الرب، وقد اعتبروا أن الرجل الصالح له تأثير في الحياة، وظهرت الحسيدية لدواعي لعل أبرزها:

1- الفقر المستشري بين اليهود في ظل ما يعيشونه من أزمات اقتصادية خانقة في بولندا؛ حيث طرد أغلب اليهود أصحاب الحانات والقرى الصغيرة، مما زاد من كثرة عدد المتسولين واللصوص والعاطلين، واستطاعت الأحزاب الاشتراكية والثورية ضم هذه الطبقات الصغيرة الكادحة ضمن صفوفها.

2- كثرة عمليات القتل والإحباط الجماعي بعد فشل حركة شبتاي تسفي وتحوله إلى الإسلام.

3- الإحباط النفسي من جراء التحولات الاقتصادية[50].

4- التخلف الثقافي، وصاحب هذا الوضع الاقتصادي المتردي تدني الحياة الثقافية، وصار اليهود يعيشون "الجيتو"[51] شبه منعزلين عن العالم ومنعزلين عن المراكز التلموذية في المدن الكبرى، وتحولت اليهودية إلى ديانة شكلية، وصارت الديانة خالية من المضمون الروحي.

5- انتشار الســـحر والشعوذة والتراث القبالي. ويبدو من خلال تتبع مراحل "القبالاه" وأوجه اكتمالها وصلتها العميقة أولا بالسحر، ولعلّ هذا يعود للتأثيرات المصرية القديمة، فاليهود عاشوا في مصر القديمة، والسحرة كانوا يمثلون في مصر القديمة كل ما توصل إليه الفكر الإنساني من علم وفلسفة وطب، وهم الأداة التي تســـير عليها البلاد في حكمها، وبالتالي كانت تقام الطقوس السحرية، وتشكلت بذلك دراية لديهم بعلوم السحر وفنونه التي احتفظوا بها وضموها إلى معتقداتهم الدينية ، والقبالاه مليئة بالسحر وتبحث عن الشيطان والأرواح الشريرة وتأثيرها على البشر، وهو كتاب يعـــج بالطلاسم والتنجيم، وهدفه الإضرار بالناس من غير اليهود[52]، كما تبحث في علم الأموات ومصيرها بعد الموت ، فاليهودية تخلد للجنة، أما أرواح غير اليهود فتخلد في جهنم، ويمكن ذكر بعض الأفكار باختصار:

- كل منا يوجد على شماله ألف عفريت ، وعلى يمينه عشـــــرة آلاف.
- إن تأثير النجوم تجعل الإنسان ذكيا وثريا، وهم تحت تأثير النجوم.
- يجوز للناس إن يستشيروا الشيطان في أحد أيام الأسبوع (الجمعة) في قضاء أمورهم.

الخاتـــــــمة :

من خلال ما سبق يخلص البحث إلى الآتـــــي:

1- ظهر التصوف اليهودي في فترة اتسمت بالفوضى في مجتمع بني إسرائيل، فبعد موت سليمان - عليه السلام - انقسمت الدولة سياسياً وضعفت، كما انحرف الدّين اليهودي عن مســـــاره، وتأثر بالعقائد الوثنية للدول المستعمرة والمجاورة، وأضحى المجتمع يشعر بضياع الهوية وعدم الانتماء.

2- القضايا التي يتناولها التصوف اليهودي " القبـــــالاه " أهمها قضية الخلق والتكوين ، وطبيعة الإله وعلاقته الحسية بالإنسان اليهودي، وموضوع الخلاص والمخلص ، وهي نفس موضوعات التوراة وكتب العهد القديم والتلمود، حتى أصبح الدين اليهودي والتصوف شيء واحد يصعب التمييز بينهما.

3- القبـــــالاه أخطر الكتب اليهودية السرية لتغللها في العقول الضعيفة ، فهي تعتمد على علوم السحر والشعوذة والأساطير والخرافات.

4- إن تغلغل الفكر الصوفي القبالي في الوجدان اليهودي جعله بالغ التأثير في كافة التيارات الدينية والسياسية في المجتمع الإسرائيلي لدرجة عميقة ، وسعى واضعوها إلى تحقيق مجموعة من الغايات والأهداف.

5- الحفاظ على مبادئ الدين اليهودي، وما ينطـــــوي عليه من تطرّف وعدوانية حيال الشعوب الأخـــــرى.

6- تعاليمها تذكر هذه النّظرة الحاقدة نحو الشـــــعوب من عدوانية وتعصب، ما جعلهم يفكرون في الكيد والانتقام من تلك الشعوب.

7- إشباع غريـــــزة اليهود الانتقامية من الشعوب باستخدام أعمال السحر وسائر الطقوس الشيطانية ليلحقوا الأذى بهم حتى ولو لم يـــــروا نتيجة أعمالهم، إلا أنهم يخففون من غلـــــواء حقدهم المكبوت.

8 - تعد تعاليم " القبالاه" أقـــــرب للشعوذة ، والتي ليس لها سند ديني أو علمي يقبله العقل أو المنطق، إلا منطـــــق الشر والكراهية والحقد على سائر الشعوب الأخـــــرى، وما أدواتهم في الضرب من السحر إلا الشياطين الذين يلتمسون منهم العون لتحقيق أغراضهم الانتقامية.

الهوامـــــش :

1- الماشـــــيح هو المخلص اليهودي، ومنه المشيحانية، وهي الإيمان بأن الماشيح سيصل نهاية الزمان والتاريخ ليملأ الدنيا عدلا، ويؤسس مملكته، وهي الفردوس الأرضي، ويؤسس مملكة صهيون في فلسطين، ويبطش بأعداء اليهود، ويحكم العالم. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 8، ص 30.

2- هـــدى درويش، عقيدة القبالة ودورها في تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة، رسالة المعرفة، العدد الثاني، السنة الثالثة عشرة، مركز تنمية البحوث، القاهرة، 2004م، ص240.

[3]- أحمد الجداد، قراءة في التصوف اليهودي، الدار العربية للنشر، أبو ظبي، 1998م، ص 66.

[4]- قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مكتبة الحكمة، إعداد مجموعة باحثين، د. صلاح قنصوه وآخرون، ط 1، 2004م، ص 393.

[5]- أحمد الجداد، قراءة في التصوف اليهودي، ص 66.

[6]- الزوهـــــــار، يذهب بعض الحاخامات إلى أن موسى عليه السلام بعدما استلم التعاليم على جبل سيناء لم ينقل هذا العلم إلى شيوخ بني إسرائيل، لكنه نقله إلى الكاهن أرون الذي نقله بدوره إلى اليعازر، إلى أن جمعت التعاليم الشفوية في شكل كتاب سمي القبالة أو الزوهار نسبة إلى اسم الزوهار الذي يعني الضياء والنور؛ لأنه حسب زعمهم شرح لكتب موسى وتعليق على أسفاره الخمسة.

[7]. محمد خليفة حسن :، تاريخ الديانة اليهودية، بدون ناشر، القاهرة، 1996، ص : 213

[8]- أحمد شلبي :اليهودية ،النهضة المصرية ،القاهرة ،الطبعة الثانية ،،1988م،ص244.

[9]- أسفار الأنبياء. وهي نوعان: أسفار الأنبياء المتقدمين، وهى: أربعة: يوشع بن نون، القضاة، صموئيل، الملوك، وتتكون الثانية من أربعة أسفار، ثلاثة منها مسماة بأسماء: أشعيا، وأرميا، وحزقيال، والسفر الرابع الاثني عشر، وتضم تعاليم اثني عشر نبيا آخرين. انظر: أحمد شلبي، اليهودية، النهضة المصرية، القاهرة، ط 8، 1988م، ص 244.

[10]- التلمود، وتعنى التتلمذ أو التعلم، وهو مجموعة من المأثورات الشفهية اليهودية، وهو في المرتبة الثانية بعد التوراة، ويتكون من جزأين: المشنا، وهي النص المسجل للقانون اليهودي الشفاهي التقليدي، وتلحق الفقرات القصيرة من المشنا بشروح مستفيضة، والجزء الثاني، ويسمى الجمارا، وتتكون من 63 قسما، تعرف بالرسائل التي تنقسم إلى ستة أجزاء، يتناول كل جزء موضوعا مختلفا، مثلا جزء "ناشيم" يتعلق بالنساء والزواج والطلاق، وكل ما يتصل بالعلاقة بين الرجل والمرأة، كما تتناول أجزاء أخرى موضوعات أخرى كالنظافة، والأعياد الدينية، والقانون المدني والجنائي. انظر: أحمد أبيش، التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، 2006م، ص 55.

[11]- انظر: سلوى ناظم، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، دار الكتاب، ط 1، 1988م، ص2.

[12]- وهي مجموعة من الأسفار تقرها كل الكنائس الأرثودوكسية ضمن العهد القديم، ترفضها أغلبية الطوائف اليهودية، وأسفارها هي: سفر طوبيت، سفر يهوديت، سفر المكابيين الأول، سفر المكابيين الثاني، سفر الحكمة، سفر يشوع بن بيراخ، سفر باروخ، تتمة سفر أستير، وتتمة سفر دانيال. انظر: عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية، دار الشروق، القاهرة، 1989م، ص 29.

13 - جعفر هادي حسن: تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم حتى العاصر الحاضر، دار العارف للنشر، الطبعة الثانية، بيروت ، ، 2014م. ص101 ص وفيما يتعلق بـصفات «الألوهية»، نادى القراؤون اليهود بنفس ما نادى به المعتزلة المسلمون، معتبرين أن بعض الصفات هي صفات معنوية بحتة ولا يجوز اعتبارها صفات حسية مادية، وكان هدف القرائين من ذلك هو ما يمكن تسميته "عقلنة" المعتقدات اليهودية. وقد كان علماء المسلمون يسمون القرائين بـ«أهل العدل والتوحيد» تمامًا كما سُمّي المعتزلة من المسلمين 105

14 - هو فلكي وفيلسوف وطبيب يهودي، ولد في قرطبة في الأندلس عام 1135 وتوفي في القاهرة في 13 ديسمبر عام 1204، عرفه العرب باسم أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله، ولقبه الغرب بـ "ميمونيدس"، تلقى تعليمه الديني على يد والده الذي كان قاضيًا في المحكمة الشرعية في قرطبة، وكان في سن الـ13 عندما استولى الموحدون على قرطبة وأجبروا اليهود على اعتناق الإسلام أو النفي، فاختارت عائلته الرحيل وهاجروا إلى إسبانيا ثم استقروا في المغرب ودرس ابن ميمون بجامعة القرويين الطب والفلسفة،

[15]- انظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989م، ص 39.

[15] - أحمد عثمان، تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، القاهرة، 1994م، مج 1 ص 126.

[16] - الغنوصية كلمة ذات أصول يهودية، وتعد أساسا في اليهودية الحاخامية، وفي تراث القبالاه، وهي المكون الأساس وراء كل الأنساق الحلولية عبر التاريخ. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 8 ص 219.

17 - اليهود الحاسيديم. ويعد اليهود الحاسيديم الأكثر اعتناقا القبالاه، وهم فرقة يهودية باطنية روحانية نشأت في أوربا الشرقية نهاية القرن السابع عشر، عمدوا على تطوير التراث القبالي والمعتقدات القبالية. انظر :د.جعفر هادي حسن :اليهود الحسيديم نشأتهم ،تاريخهم ،عقائدهم ،تقاليدهم ،منشورات دار القلم – الدار الشامية ،الطبعة الأولى ،1994م ،ص5.

18 - هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2006م، ص 126.
19 - عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،مج 5،ج2،الباب السادس كتب التفسير . -0[2]
21 - المصدر السابق :مج 5 ،الجزء الثاني ، الباب السادس ، مدخل :المشناه
[22] - الحسيني معدي، القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم، دار الكتاب العربي دمشق، القاهرة ، ط 1، ص 25.
- الحسيني معدي : القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم ،ص12 [23]
24- انظر: عبد المنعم الحفني ، موسوعة فلاســـــفة ومتصوفة اليهودية ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1998م ،ص39 .
25 - هدى درويش: الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية ،والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة ، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،القاهرة ،2006م،ص 126
26 - جبل المرايا :وهو الجبل الذى بنى عليه سليمان الهيكل بالقدس انظر :موسى بن ميمون دلالة الحائرين ،ترجمة وتقديم :حسين أتاي ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،2002م، ص 656 .
27 - هاجم إسبينوزا اليهودية واليهود، وأشار البعض إلى أنه بسبب ذلك لا يمكن أن يكون صهيونياً. ، فعداؤه الشديد لليهود أدَّى به إلى طرح اقتراح صهيوني حين قال: "بل إنني لأذهب إلى حد الاعتقاد بأنه لو لم تكن مبادئ عقيدتهم [أي اليهود] قد أضعفت عقولهم، ولو سنحت الفرصة وسط التغيرات التي تتعرض لها أحوال البشر بسهولة، فقد يُنشئون مملكتهم من جديد، وقد يختارهم الإله مرة ثانية ." انظر عبد الوهاب المسيري:موسوعة اليهود واليهودية ، مج 8 ص114
28 - أحد أهم الفلاسفة الفرنسيين في مطلع القرن العشرين.(1859م1941م). دخل برجسون مدرسة المعلمين العليا الشهيرة عام 1878، وفي عام 1881م، حصل على الليسانس في الرياضيات والآداب معاً، ودرس من سنة 1878م إلى 1881م في المدرسة العليا للأساتذة في باريس، وهي المؤسسة المسؤولة عن تدريب أساتذة تحصل على الاستاذية في الفلسفة عام 1881م. ؛ فقد عُيِّن أستاذاً بالكوليج دي فرانس عام 1900م، وانتُخب عضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية عام 1901م، ثم عُيِّن بالأكاديمية الفرنسية، وحصل على جائزة نوبل في الآداب عام 1908م. ومن أشهر مؤلفاته التطور الخلاق (1907م)، و منبعا الأخلاق والدين (1932م). جميل الحاج: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، قاموس عربي انجليزي، ط1 ،مكتبة لبنان، 2000م ،ص 99. ويمكن رصد البُعد اليهودي في فلسفة برجســـون فيذهب إلى أن اليهودية ديانة مغلقة من وحي مجتمع مغلق، وأنها دين ساكن جامد، أخلاقه مغلقة تحمل الفرد على الإخلاص بشكل غريزي للجماعة. وإذا كانت اليهودية تُعلّم اليهودي التشبث بالحياة، ثم يُعرِّف برجسون إله الصوفية بأنه حياة ومحبة تعبر عنهما تلك الوثبة الحيوية التي تَصدُر عنها ديانة المتصوفين، وهم وحدهم الذين يتلقون عن تلك الطاقة الخلاقة التي هي الأصل في رؤاهم وكشوفهم، وعلى عاتقهم تقع مسئولية توجيه الإنسانية إلى حياة مستقرة مليئة بالمحبة والتعاطف.وإذا ما أردنا أن نحدِّد البُعد اليهودي في فلسفة برجسون، فإننا سنجد أنه أقرب إلى إسبينوزا منه إلى اليهودية الحاخامية. فكلاهما يهاجم جمود اليهودية ولكنه يدور في إطار وحدة الوجود (الروحية والمادية)، وكلاهما يُغيِّب الإله بأن يجعله مجرد قوة دافعة للمادة أو للزمان كامنة فيها تتخلل ثناياها وتضبط وجودها. ولكن وحدة الوجود ليست سمة من سمات اليهودية وإنما هي أيضاً السمة الأساسية للرؤية العلمانية المتمركزة حول الإنسان أو المادة أو حول الإنسان باعتباره مادة، فكأن فكرة وحدة الوجود هي الإطار الذي ينتظم كلاً من اليهودية والعلمانية وكلاً من إسبينوزا وبرجسون، وكذلك كل

الفلاسفة اليهود وغير اليهود الذين يتحركون في هذا النطاق انظر :عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية مج 8،ص127.

[29] - عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، تمهيد وتعقيب نظري حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت الحولية، 13، ص 17.

30 - عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية، ص 158.

[31] - لقد تغلغل هؤلاء في مختلف الثقافات والعلوم، واسهموا بآرائهم خدمة للمشروع اليهودي، ونستطيع أن نحصر بعض الأسماء ، وهي كافية لفهم هذا التأثير، ففي مجال الفيزياء نجد: ماكس بلانك، والبرت إنشتاين، وفي علم الاجتماع: إميل دوركهايم، وماكس فيبر، وتيودور أدورنو، وفي علم النفس: فرويد، وأدلر، وفروم، وفي الفلسفة: أسبينوزا، وبرجسون، وكارل ماركس، وهوسرل، وليفيناس، ودريدا، وفي مجال اللغة والأدب: لوكاتش، وبلوم، وشتاينر، وكافكا، وفي مجال الأنثربولوجيا: ليفي ستراوش. انظر: سعد البازغي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص 22.

32 - يورغن هابرماس ، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة وتقديم نظير جاهل، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1995م، ص 49 ص 50.

[33] - يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ص 50.

[34] - انظر: طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، ص 61.

[35] - سيجموند فرويد، موسى والتوحيد، ترجمة: عبد المنعم الحفني، مطبعة الدار المصرية، ط 2، 1978م، ص 189.

[36] - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 3، ص 443.

[37]- المصدر السابق، مج 5، ص 242.

[38]- المصدر السابق، مج 5، 443.

[39]- أحمد شلبي، اليهودية، ص 235.

[40]- خطر اليهودية، ص 171.

[41]- انظر: سعد البازعي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص 378، ص 379.

[42]- انظر: حمودة إسماعيلي، عقدة فرويد، منشورات دار الكتب، ط 1، القاهرة، 2016م، ص 123 وما بعدها.

[43]- عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 2002م، ص 71. واليديشية هم يهود بولندا يتحدثون اليديشية؛ أي: أنهم يتكلمون الألمانية بلكنة سلافية وعبرية، ثم ضمت روسيا قطاعات منهم حين ضمت أجزاء من بولندا في أواخر القرن الثامن عشر، وقد حدث بينهم انفجار سكاني، فـأصبحوا أكبر جماعة يهودية في العالم. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص 41.

[44]- عبد الوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 3، ص 458.

45- مارتن بوبر(1878 –1965)، هو فيلسوف الماني يهودي اشتهر بفلسفة الحوار، أحد أشكال الوجودية. حلولي، متطرف في حلوليته وجودي النزعة، كان لا يؤمن باليهودية الحاخامية أو بضرورة تطبيق الشريعة، ولم يقرأ التلمود على الإطلاق. ومع هذا، فإنه يُعَدُّ من أهم المفكرين الدينيين اليهود في القرن العشرين. وهو من دعاة التصوف اليهودي. ويُعتبر بوبر أحد كبار مفسري العهد القديم، وأحد أهم مفكري الصهيونية ذات الديباجات الثقافية .

[46]- المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل، تعريب وتقسيم وتقديم د. ســـــهيل زكــار، منشورات دار الكتاب العربي، دمشق، ط 1، 1997م، ص 704 ص 705.

[47] - انظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م، ص 134.

[48] - حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي ومذاهبه، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ،1971م ص 313.

49- موسوعة فلاسفة ومتصوِّفة اليهودية؛ عبدالمنعم الحنفي، ص108

50- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 5، الباب الرابع، مدخل الحسيدية، ص 335

51 - كلمة (جيتو) تستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود في أوروبا، وقد أقيم أول جيتو يهودي في "روما" عام 1516م.وللجيتو أسماء متعددة، من بينها ما أطلق عليه: "الحي الرابع"، وهو محاط بالأسوار العالية، وقد انتشرالجيتو المغلق جدا في نهاية العصور الوسطى في إسبانيا وإيطاليا وأوروبا الشرقية وغالبا ما أجبر اليهود على التجمع في أسوأ الأماكن من المدينة، وكانوا يضعون حارسًا على باب كل جيتو؛ لمنع اليهود من مغادرته في ساعات الليل، أو في الأعياد المسيحية. انظر: سناء عبد اللطيف صبري :الجيتو اليهودي ،الدراسات الشامية للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ،1990م ص 13.

52 - إيليا أبو الروس، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، بيروت، دار الاتحاد، ط 1، 1964م، ص 61.